تم حتى أتعب العيـ ـن بفرط الحسنات
إن بعض العيب حَلْي للسجايا والسمات[١٢]

* * *

ما به والله من صـ ـدٍّ ولا منع صِلات
غير أن الناس لا كا نوا تناهوا في الأذاة
ويلهم يحمون ما لم يملكوا من طيبات
علَّموه وهو لا يعـ ـلم ما كيد الغواة
ليتني علمته الوصـ ـل وتكذيب الوشاة
صفه! بل أمسك فقد ها جت عليه حُرُقاتي
جمح الوجد بأشجا ني وضاقت أزماتي
هاتها صرفًا وأغرق في طلاها حسراتي
عوضًا عما يؤاتي من هوًى أو لا يؤاتي

الشيب الباكر

ما أقبل الليل حتى طرتَ بالقمم يا صبح جرت على الظلماء في القِسَم
وما انقضى شفق الأيام من عمري فكيف لحت بفجر منك متهم؟
لو كنت تحسب أيامي لما خطرت يداك يا شيبُ في مسودة اللمم[١٣]
دون الثلاثين تعروني وما انصرمت إلا كما تنقضي الأعوام في الحلم؟
مرت بقادمتي نسر مولية وكنت أعهد فيها ثِقلة الرخم
وما اعتدادُك بالأيام تحسبها وإنما أنت خدن الويل والألم
إذا ألمَّا بإنسان صحبتهما فانزل فقد نزلا في أعظمي ودمي
ما أنت طارق دار لا رفيق بها ولستَ مُهرِم قلب ليس بالهرم

[١٢] الأخلاق والملامح.
[١٣] جمع لمة، وهي الشَّعر المجاور للأذن.

قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبي ... من واضح الشيب بعد الشيب في القتَمِ
ما كان مسودٌّ شعري وهو مشتمل ... عليك إلا كجلباب من الكتم[١٤]
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل ... دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
إذا ادَّكرت شبابًا في النعيم مضى ... لم يدَّكر من شباب كان أو نِعم
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى ... أنْ لم تشِب أبدًا كفي ولا قدمي
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني ... كلا ولا شيم الفتيان من شيمي
يا شيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فانزِل بلا ضائقٍ بالشيب أو برم[١٥]
من لا يبالي أَفَخْرٌ أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
يا مرحبًا بصباح ليس يسلبني ... صفوًا، وبُعدًا لليل فيه لم أنمِ

أمُّنا الأرض

مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التي تحرك الأطفال هي الخوالج التي تتصرف بالرجال، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادون بالحيل التي نخدع بها الأطفال وهم لاعبون، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون.

أسائلُ أمنا الأرضا ... سؤال الطفلِ للأم
فتخبرني بما أَفْضَى ... إلى إداركه علمي

* * *

جزاها الله من أمٍّ ... إذا ما أنجبت تئدُ[١٦]
تُغذِّي الجسم بالجسم ... وتأكل لحم ما تلد

* * *

[١٤] الكتم: صبغ للشعر، والمعنى أن الشَّعر الأسود الذي ينطوي على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ.
[١٥] متضجر.
[١٦] تدفن أولادها.